البَابيّة أو البهَائيّة

من الفرق الحديثة البابية أو البهائية: لما راجت فكرة المهدي المنتظر لدى الشيعة واستحوذت على أفكارهم، وشغلت عقولهم كان لها أثر سيء في تضليل الناس، وخضوعهم للأوهام كما كان لها آثار في الثورات المتتالية في تاريخ الإسلام، ففي كل عصر يخرج داع أو دعاة كلهم يزعم أنه المهدي المنتظر ويلتف حوله طائفة من الناس، كالذي كان من عبيد الله المهدي الذي أسس الدولة الفاطمية بهذا الادعاء، ولا يمر بنا عصر من غير خروج مهدي أو متنبئ جديد، فمن هؤلاء البابية أو البهائية[1] مؤسس فكرة البهائية هو ميرزا[2] علي محمد المولود في جنوب إيران عام 1235 هـ 1819م واشتهر في صباه بخلق حسن، وسافر إلى العراق واستوطن النجف وكربلاء ودرس على كبار الشيعة وسمع منهم أن المهدي المنتظر قارب وقت ظهوره، فراق له أن يكون هو المهدي فادعى ذلك، وأظهر من التقشف والزهد ما أمال إليه الكثير من السذج، وأظهر لهم أنه باب العلم والمعرفة، وارث علي باب العلم[3] فكما أنه لا يجوز دخول البيت إلا من بابه فلا يجوز العلم والعرفان إلا من بابه، وسمى نفسه بالباب وترك اسمه الأصلي.

ومن هنا سميت جماعته في أول أمرها (بالبابية) ولما رأى إقبال بسطاء العقول إليه، وإجابتهم لدعوته، ترفع في دعواه، فادعى أنه هو النبي، وأن الله تعالى قد أنزل عليه كتاباً يسمى بالبيان، وأنه هو المشار إليه بقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1-4] فليكن الإنسان هو

(1) يطلق على هذه الفرقة البابية أو البهائية لأن أول زعيم لها علي محمد لقب نفسه بالباب وأخوه البهاء.

(2) ميرزا كلمة فارسية معناها السيد.

(3) كان يكرر الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ: (أنا مدينة العلم وعلي بابها) الذي تلقب به الباب والله أعلم بصحته.

ميرزا علي محمد، فألف الكتاب الباطل ومزج فيه من تعاليم الباطنية والبوذية، والبرهمية، والوثنية، والزرادشتية، واليهودية، والنصرانية، والإسلامية.

وأرسل رسله إلى خراسان، وكرمان، ونشر تعاليمه الزائفة في كثير من بلاد العجم بدعوة المهدي المنتظر، وأوصى أن من يخلفه شاب من أتباعه يسمى يحيى نوري ثم أخوه حسين الملقب بـ (بهاء الله) ومن هنا سميت هذه الطائفة (بالبهائية)[1] وكان كتابه هذا محتو على كثير من العربي المسجع وبعض الفارسي، وكان عمله هذا وخروجه على ما أجمع عليه المسلمون سبباً في انفضاض الكثير من حوله، ولا سيما أتباعُ الشيخ أحمد الإحساني والسيد كاظم، وكفَّره أهل الحديث وعلماء الأصول، وسائر علماء السنة.

انتشار دعوة البابية والبهائية

لما آمن بالباب ثمانية عشر شخصاً، بعدد حساب (حي)[2] علمهم مشروعه وأساس معتقداته، وأرسلهم إلى بلاد كرمان وخراسان لتبشير الناس بظهور المهدي المنتظر ظهورُه عند الشيعة، ودَعْوَتهم لاتباع أوامره.

وحذر الدعاة من إظهار اسمه، وحثهم على الكتمان الشديد، وما ذلك إلا للخبر الشائع عند بعض فرق الشيعة من أن المهدي المنتظر اسمه (محمد بن عبد الله) كما مر في خروج (محمد بن عبد الله) بن الحسن بن الحسن النفس الزكية.

وكان السبب في اختياره (خراسان وكرمان) دون بقية بلاد فارس، لأن خراسان روي فيها خبر (الله أعلم بصحته) وإلى من هو منسوب (إذا رأيتم الرايات السود من قبل خراسان فأتوها، فإن فيها خليفة الله المهدي).

وأما كرمان فالسبب فيها أن فيها الحاج محمد كريم خان، وهو من أكابر العشيرة

---

(1) راجع سلسلة التاريخ الإسلامي تاريخ الفرق الإسلامية للدكتور محمود محمد زيادة ص95 وعبد البهاء والبهائية ص9 ومفتاح باب الأبواب ص131 والحراب في صدر البهاء ص163.

(2) هذا على حساب الفلكية وهو الجمل البسيط على الأحرف الأبجدية، فكلمة (حي) تساوي (18) لأن الحاء (8) والياء (10) الكواكب الدرية ج1 من ص 39-50.

(الفاجارية) التي منها الأسرة الحاكمة، وكان الحاج محمد كريم صديقاً (لميرزا علي محمد) صاحب الدعوة، فأرسل (الباب) إليه كتاباً يستجدي نصرته، وقد خاب ظنه في كرمان، فإن الحاج كريم كفّر الباب، وأعلن علماء كرمان مروق الباب عن الدين.

وصدق ظنه في خراسان فقد أجابه رجل من أهل العلم البسطاء يدعى (ملا حسين بن بَشْرويه) فكان (لملا حسين) شأن كبير في نشر الفساد، فلقبه (الباب) بباب الأبواب، ولما أرسل (الباب) الرسل إلى خراسان وكرمان ابتدأ يشتغل بتأليف الكتب، وتدوين الأحكام المزيفة، وأول كتاب ألفه وهو في كربلاء (الرسالة العدلية) في الفرائض الإسلامية: نبذ فيها من الفرائض ما نبذه، وفند فيها ما فنده، ثم شرع في شرح سورة يوسف في كتاب ضخم، جعله في مائة وعشرين فصلاً، وكرر فيه وفي سائر كتبه (ما ترجمته) إني أفضل من محمد، كما أن قرآني أفضل من قرآن محمد!!.

وإذا قال محمد بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن، فأنا أقول: يعجز البشر من الإتيان بحرف مثل قرآني، إن محمداً بمقام الألف، وأنا بمقام النقطة[1].

وإلى هنا كان قد وصل إلى القمة، فلم يكتف بلقب الباب بل لقب نفسه (بالذكر) وزعم أنه المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] ومن قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7] وحدا به هَوَسه إلى أن يكتب رسالة إلى العلامة شهاب الدين السيد محمود الألوسي مفتي بغداد وصاحب التفسير المشهور (روح المعاني)[2] يدعوه فيها إلى اتباع دينه، ومما قال فيها: (إني أنا عبد الله، بعثني بالهدى من عنده) وسمى في هذه الرسالة مذهبه دين الله، فقال: (ومن لم يدخل في دين الله كمثل الذين لم يدخلوا

---

(1) مفتاح باب الأبواب ص99-100 الحراب في صدر البهاء ص167.

(2) تفسير روح المعاني يقع في 30 جزءاً وهو من أعظم التفاسير الموجودة الآن مطبوع في 15 مجلد كبير وإليه يرجع كبار العلماء.

في دين الإسلام) والرسالة طويلة[1] ثم أراد السفر إلى الحجاز، وكان قصده من ذلك إثبات مشروعه، لأن الخبر الوارد بأن المهدي يبايع في البيت الحرام بين الركن والمقام، وهنا تتضارب روايتان، إحداهما تقول بسفره إلى مكة ولكنه لم يعلن هناك دعوته، والأخرى تنفي ذلك.

وكيفما كان الأمر فقد عقد العلماء مؤتمراً علمياً وقرروا مروق الباب من الدين وحكموا عليه بالإعدام، وبعد حبسه وثورة أتباعه، وحدوث حروب طويلة بين البابيين وحكومة إيران، دعت الحكومة الباب وألفت مجلساً لمناقشته فغلب على أمره، فنفذ فيه الإعدام رمياً بالرصاص هو ورفيقه (ملا محمد علي) في ساحة عمومية (بتبريز) عام 1265 هـ 1850م.

البهائية:

لما هلك الباب تمزق أصحابه شيعاً، وكان الباب قد أومأ في بعض رسائله إلى أن من يخلفه من بعده رجل من أتباعه يسمى (ميرزا يحيى نور) ولقبه صبح أزل ومن بعده أخوه الأكبر (ميرزا حسين علي) الملقب (بهاء الله) كما مر ولكن بهاء (بعد موت الباب) تغلب على أخيه صبح وانتزع زعامة فلول البابيين لنفسه[2]، وفي فترة من غفلة الدولة الإيرانية أعاد النشاط، ودخل الكثير في دينه الجديد المزيف فعظم سلطانه، فانتقل يتدرج في المناصب، فادعى أولاً بأنه خليفه الباب المهدوية، ثم انتقل منها إلى درجة الولاية المطلقة، ثم انتقل منها إلى درجة النبوة والرسالة، ثم انتقل منها إلى درجة الربوبية والألوهية، وزعم أنه المراد من قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22] ومن قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210]، وبث دعاته خفية

(1) راجع هذا في كتاب تاريخ الفرق الإسلامية للدكتور محمود محمد زيادة نقلاً عن مفتاح باب الأبواب ص302-308.

(2) مفتاح باب الأبواب ص176-181.

في بلاد فارس والهند والقوقاز من بلاد الروس فأكرمت الحكومة الروسية مثواهم، وأعطتهم الحرية المطلقة في نشر مذهبهم والدعوة إليه وصرحت لهم بإقامة مَعْبَدين، أحدهما في (باكو) والثاني في (عشق آباد) وكان ذلك عام 1888 م وغرض روسيا من ذلك طمعها في بلاد فارس[1] وتفريقاً لوحدة الإسلام.

واستمر البهاء يعمل لدعوته بكل ما أوتي من قوة حتى أهلكه الله في داره المعروفة (بالبهجة) خارج عكا حيث كان قد أقام بها في آخر دعوته وذلك عام 1892م ودفن فيها وهي مزار للبهائيين المارقين.

تعاليم البابيين والبهائيين

تكاد تكون تعاليم البابيين والبهائيين واحدة أو قريبة، من هذه التعاليم الباطلة:

1- التعاليم مستمدة من مصادر متعددة، منها ما هو مستمد من الباطنية فهو يقول:

إن لكل شيء باطناً وظاهراً ولكل تنزيل تأويل: وما يعلم تأويله إلاَّ الله: وهو الباب أو البهاءة.

2 - أنكروا القيامة والجنة والنار، والبعث والنشور، ويؤولون النصوص على حسب الأهواء.

3 - حرم الباب في كتابه (البيان) التعليم وقراءة كتب غير كتبه التي منها البيان، وتفسير سورة يوسف وتفسير سورة العصر.

فكان كل من يؤمن بالباب يحرق القرآن الكريم وجميع الكتب التي تحت يده، ولكن الميرزا (حسين علي) الملقب (بهاء الله) أدرك ما في هذا من التحجير المكشوف، وأنه مما يصرف عنهم أرباب العقول النابهة نسخ بعض تعاليم الباب فقال: قد عفا الله عنكم ما نزل في البيان من محو الكتب، وأذنا لكم بأن تقرؤوا من العلوم ما ينفعكم.

4 - حكم بهدم جميع البقاع والمزارات الخاصة بالرسلِ والأنبياء، وكذلك الكعبة وقبر

---

(1) راجع مفتاح باب الأبواب ص102 والحراب في صدر البهاء ص12 ودائرة المعارف الإسلامية ص252.

الرسول الأعظم ﷺ، ولو استطاع ذلك لفعل.

5 - فرض الصلاة ركعتين فقط، وذلك وقت الصباح.

6 - جعل الصيام تسعة عشر يوماً فقط، من شروق الشمس إلى غروبها.

وجعل آخر يوم في الصيام يعقبه عيد النيروز، والصوم إجباري على من بلغ الثانية عشر من عمره ولم يتجاوز الثانية والأربعين، ثم يتقاعد فلا يصوم ولا يصلي.

7 - جعل للزكاة نصاباً خاصاً، ومنع صرفها لغير البابيين.

8 - الزواج إجباري لمن بلغ سن الحادية عشر من عمره، والمهر رمزي.

9 - ألغى الباب جميع العقوبات إلاَّ دفع الدية، ولا يجوز للمعلم أن يضرب تلميذه أصلاً.

10 - حرم شرب الخمر وكذا شرب الدخان، وأباح ذلك البهاء.

11 - يجوز رؤية النساء سافرات، والتحدث إليهن من غير حرج دون إساءة إليهن.

12 - لا يفرض الغسيل ولكنه مستحب فقط[1].

(1) راجع سلسلة التاريخ الإسلامي ص98 والبهائية ص9 ومفتاح باب الأبواب ص131.

القاديانية

(قاديان) قرية من قرى ولاية البنجاب في الهند لا يزيد سكانها على ألف نسمة أكثرهم مسلمون، رحلت إليها أسرة من سمرقند، فانتعشت هذه الأسرة في عهد الاحتلال البريطاني للهند، وكان من أفراد تلك الأسرة (غلام أحمد القادياني) الذي تنتسب إليه الفرقة القاديانية، وهي فرقة تحمل اسم الإسلام، وليست من الإسلام في شيء إلاَّ في الاسم.

1- غلام أحمد مؤسس القاديانية :

ولد غلام أحمد سنة 1252هـ-1832م ونشأ في قاديان وقرأ القرآن على بعض الفقهاء من الشيعة، واطلع على بعض الكتب الفارسية، وتعلم اللغة العربية في سن العاشرة، ولما بلغ السابعة عشر درس النحو والمنطق والفلسفة على أستاذ عربي، وطالع العلوم الدينية، وفي ذلك الحين امتد الاستعمار البريطاني إلى البنجاب، وكان الشباب يطمحون إلى المناصب، فعين غلام أحمد كاتباً في بعض مصالح الحكومة . . ثم استقال[1] وقد تزوج امرأتين، وعندما بلغ سن الأربعين من عمره بدأ في إظهار دعوته التي بناها على أنه نبي يوحى إليه من السماء وأنه مسيح المسلمين، ويحتج لدعواه بأن في القرآن آيات تشير إلى وجوب ظهور مسيح في الإسلام بعد محمد ﷺ كما ظهر عيسى بعد موسى عليهما السلام وأن المدة بين عيسى وموسى كانت حوالي أربعة عشر قرناً، وهي تساوي المدة بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين غلام أحمد (المسيح الجديد) وأنه كما قام عيسى عليه السلام من اليهود لهداية اليهود فإن غلام أحمد قام من المسلمين

(1) طائفة القاديانية 7 و8.

لهداية المسلمين، وفي اعتقاده أن المسيح مات وقبره في كشمير[1].

واجتهد غلام أحمد في نشر دعوته وأعانه على ذلك الاستعمار وتفشي الجهل، فاستند الاستعمار على دعوته للتفريق بين الصفوف.

2- دعواه النبوة:

زعم غلام أحمد أن الوحي ينزل عليه، وأن الآراء التي يتحدث بها يتلقاها عن طريق الوحي، ولما مرض أبوه زعم أن أباه سيموت بعد الغروب[2].

وكان يتنبأ بمجيء كل ولد قبل ولادته ويسميه باسمه، وله خطبة تسمى بالإلهامية يدعي فيها نزول الوحي عليه إذ يقول: وهذا هو الكتاب الذي ألهمته من رب العباد، في يوم عيد من الأعياد.. ثم يقول: بل هي حقائق أوحيت إلي من رب الكائنات... ثم يقول: أرأيتم إن كان من غير الله ثم كذبتموني فما بالكم أيها المكذبون.. ثم قال: وإنكم ترون كيف تنصر الناس بإرسالي؟.

وهل ينكر ذلك إلا العمون؟ وكان عيسى علماً لبني إسرائيل وأنا علم لكم أيها المفرطون.

وهذا صريح في ادعائه النبوة والرسالة، وهو بهذا قد كفر لأنه خالف الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فإن الله تعالى يقول: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: 40] وفي البخاري أن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي» وفي البخاري أيضاً: (أن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلاَّ موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطفون به ويقولون: هلا وضعت

---

(1) يقول صاحب مفتاح باب الأبواب قد رأينا صورة قبر المسيح في كشمير، وأقول: كذلك رأيت ما يسمونه قبر المسيح في كنيسة القيامة في القدس، وكل ذلك كذب فإن المسيح رفع إلى السماء.

(2) تاريخ الفرق الإسلامية عن طائفة القاديانية ص8.

هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» وفي مسلم عن جابر ﷺ: فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء.

وقد انعقد الإجماع على أن محمد ﷺ خاتم الأنبياء ولا نبي بعده، وأن شريعته صالحة لكل زمان ومكان.

3- موقف علماء المسلمين من غلام أحمد ونهايته :

أنكر علماء الإسلام ما أقدم عليه غلام أحمد من ادعاء النبوة والرسالة.

وردوا عليه مزاعمه، وكتبوا في الصحف، وأذاعوا منشورات بتكذيبه، فانتقل من قاديان إلى (دلهي) ثم إلى (لاهور) ولما لم يجد غلام أحمد وسيلة للتخلص من الحملات ضده لجأ إلى حاكم الهند الإنكليزي يطلب حمايته.

وأخيراً فترت حركته، وعلمت ضلالته، وانصرف الناس عنه، وضل سعيه وخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، وأصيب بإسهال قضى عليه في لاهور عام 1326هـ 1908م، ولا زال للقاديانية أبواق تدعو لمفترياتها، ولها نشاط في الهند والصين وإيران والعراق وغير هذه البلاد.

والوقاية من هذه الضلالات تربية النشء الإسلامي تربية صحيحة، وغرس أصول الإسلام في قلوب المسلمين[1].

(1) راجع الفرق الإسلامية والملفوظات الأحمدية ج1 ص146، وكتاب الفرق الإسلامية لمحمود محمد زياد ص112-121.

أهل السنة والجماعة الأشاعِرَة

نسبة الأشاعرة ونشأتهم

الأشاعرة ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري: وهو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن عبد الله موسى بن بلال بن بردة بن أبي موسى الأشعري.

بصري سكن بغداد إلى أن توفي بها[1] تفقه على أبي الحسن المَرْوَزي الشافعي وعلى أبي زكريا يحيى الساجي، وأخذ عنه الحديث، وكان أغلب أوقاته يقضيها مع ربيبه أبي علي الجبائي ليأخذ عنه الجدل والمناظرة[2] يقول ابن عساكر[3]: كان الأشعري تلميذ الجبائي يدرس عليه لا يفارقه أربعين سنة، وكان صاحب نظر في المجلس، وذا إقدام على الخصوم ولم يكن من أهل التصنيف، وكان أبو علي الجبائي صاحب تصنيف، ولا يجيد المناظرة، فيتولى المناظرة أبو الحسن، إذ أن أبا الحسن الأشعري كان معتزلياً وتثقف بثقافتهم، وأقام على الاعتزال مدة طويلة حتى كان إماماً من أئمتهم، وما الذي حدث حتى ترك الاعتزال ومال بكليته إلى الفقهاء والمحدثين؟.

فقد ورد في هذا التحول روايات أحقها في الاعتبار أنه لم يقتنع فيما ذهب إليه المعتزلة فحدثت مناظرة بينه وبين شيخه الجبائي في التحسين والتقبيح[4] فقال الأشعري: ما قولك في ثلاث أخوة مات أحدهم صغيراً، ومات الثاني كبيراً صالحاً، ومات الثالث كبيراً كافراً، فلو سأل الصغير ربه فقال: لِمَ لَمْ تبقني حتى أنال منزلة

---

(1) ولد أبو الحسن عام 260 وتوفي 337هـ.

(2) كتاب أعلام الأخبار من فقهاء مذهب النعمان المختار ص130 (مخطوط).

(3) ابن عساكر تبيين كذب المفتري ص91.

(4) المعتزلة يقولون بوجوب الأصلح على الله جل وعلا.

أخي في الجنة؟ ماذا يقول له الرب؟ فقال الجبائي: يقول له: علمت أنك لو كبرت لكفرت فكان الأصلح لك أن تموت صغيراً، فقال له أبو الحسن: فلو سأل الثالث الكافر وقال: يا رب لم لم تمتني صغيراً وأنا راض بما دون منزلة أخي الصالح، ماذا يقول له الرب فبهت الجبائي وسكت، ومنها أن أبا الحسن قال: وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد، فقمت وصليت ركعتين وسألت الله تعالى أن يهديني الصراط المستقيم، ونمت، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر، فقال الرسول ﷺ: (عليك بسنتي) فانتبهت وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والحديث فأثبته ونبذت ما سواه ورائي ظهرياً[1].

ويضاف إلى هذا وذاك أنه أراد التوفيق بين المذاهب المختلفة بقدر المستطاع والدفاع عن الإسلام على طريقة تجمع بين المعقول والمنقول.

عندها خرج على الناس[2] يوم الجمعة بالمسجد الجامع بالبصرة وقال: أيها الناس ومن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي: أنا أبو الحسن الأشعري: كنت أقول بخلق القرآن وأن الله تعالى لا يرى بالأبصار.

وأن أفعال الشر من فعلي، وأنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة. معاشر الناس! إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت، فاستهديت الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته كتبي . . وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به، وجعل يلقي على الناس من كتابه اللمع، وكشف الأسرار وغيرها.

ولقد بث أبو الحسن أتباعه في كل الجهات متعقباً المعتزلة، ولقب بإمام أهل السنة ولما قرأ أهل الفقه والحديث كتبه اتخذوه إماماً واشتهر أتباعه باسم الأشاعرة.

ومن أراد الوقوف على سائر آراء الأشعري فعليه بدراسة علم الكلام عند أهل

---

(1) ابن عساكر ص38 سبب تركه الاعتزال.

(2) بعد مدة اعتكف فيها للبحث والنظر والتأليف.

السنة، لأنه حصيلة آرائه وآراء أبي منصور الماتريدي، الذي سيأتي الكلام عليه (إن شاء الله) والأشعري أخذ بكل ما جاء به القرآن الكريم والسنة من عقائد ويحتج بكل وسائل الإقناع والإفحام، وأخذ بظواهر النصوص في الآيات الموهمة للتشبيه من غير أن يقع في التشبيه، فهو يعتقد أن لله وجهاً لا كوجه العبيد، ويداً لا كيد العبيد، وأنه رأى أن أحاديث الآحاد يحتج بها في العقائد، وكان مسلكه وسطاً بين الفرق المختلفة، فأصدر أحكاماً في قضايا العقائد في جو من الاعتدال والصفاء بعيداً عن التهور والاندفاع، ونصره كبار العلماء كأبي بكر الباقلاني وإمام الحرمين والأسفراييني وغيرهم[1]. ومن عجيب المصادفات أن آراء أبي الحسن في المناظرة والعقيدة مطابقة لآراء ومناظرات جده الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ﷺ، من ذلك:

جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري، فقال عمرو: ما أجد أحداً أخاصم إليه ربي، فقال أبو موسى: أنا ذلك المتحاكم إليه، قال عمرو: يقدر علي شيئاً ثم يعذبني عليه، قال: نعم، قال: ولم؟ قال: لأنه لا يظلمك[2] فسكت عمرو ولم يجد جواباً، فقال الأشعري: الإنسان إذا فكر في خلقته، من أي شيء ابتدأ، وكيف دار في أطوار الخلقة، طوراً بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقة، وعرف يقيناً أنه بذاته لم يكن ليدبر خلقته ويبلغ من درجة إلى درجة من نقص إلى كمال، عرف بالضرورة أن له صانعاً قادراً عالماً مريداً، إذ لا يتصور صدور هذه الأفعال المحكمة من غير حكيم، وكما دلت الأفعال على كونه عالماً قادراً مريداً دلت على العلم والقدرة والإرادة، لأن وجه الدلالة لا يختلف شاهداً أو غائباً[3]، وهذا ما يقرره أبو الحسن الأشعري فيقول: إنه عالم بعلم قادر بقدرة، حي بحياة مريد بإرادة، متكلم بكلام، سميع بسمع، بصير ببصر[4].

---

(1) رسالة التوحيد لمحمد عبده ص19.

(2) أي لأنه يتصرف فيما يملك، ومن تصرف فيما يملك لا يوصف بالظلم.

(3) الملل والنحل للشهرستاني ج1 ص119-120 على هامش الفصل بين الملل والأهواء والنحل لابن حزم.

(4) المصدر نفسه ص122.

وفي قضية القرآن، هل هو مخلوق أو قديم: يقول الأشعري ينبغي أن نفرق بين كلام الله تعالى القائم بذاته وهو قديم، وبين الكتاب الذي بين أيدينا، والذي أنزل على محمد ﷺ في زمن معين، من أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وسائر الألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميع ذلك دلالات على الكلام الأزلي، والدلالة مخلوقة محدثة، والمدلول قديم أزلي والفرق بين القراءة التلاوة والمتلو كالفرق بين الذكر والمذكور.

فالذكر محدث والمذكور قديم[1].

ويقول الأشعري في رؤية الله تعالى في الآخرة: إن المصحح للرؤية الوجود، والباري تعالى موجود، فيصح أن يرى، أي وقد ثبتت الرؤية بالخبر الصادق فهي واقعة لا محالة.

طريقة الأشعري في البحث:

لما خرج الأشعري على المعتزلة وتصدى للرد عليهم، وكانوا قد سلكوا مسلكاً عقلياً، وتصدى أيضاً للرد على الفلاسفة والقرامطة والباطنية والروافض وغيرهم، فلا بد إذاً أن يرد على الجميع بمثل حججهم، ولهذا نراه يسلك في الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل، فهو يثبت ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف من أوصاف الله ورسله واليوم الآخر والملائكة والحساب والعقاب والثواب، ويتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنظمة يستدل بها على صفات الله سبحانه، وقد استعان على ذلك بقضايا فلسفية ومسائل عقلية خاض فيها الفلاسفة والمناطقة.

تقواه وعلمه:

يروى أن أبا الحسن الأشعري مكث نحو عشرين سنة يصلي صلاة الصبح بوضوء العشاء، ويقول بعضهم أنه لم يوجد أورع منه ولا أتقى، ويقول القاضي أبو

---

(1) المصدر نفسه ص122.

المعالي[1]: أظهر الأشعري الحق ونصره وأدحض الباطل وزجره. أعلن معالم الدين، وأقام دعائم اليقين.

وخلاصة القول: لقد جمع الأشعري أهل السنة والجماعة حوله حتى ادعاه أصحاب المذاهب فقال المالكية: إنه مالكي، وقال الشافعية: إنه شافعي. وقال الحنفية: إنه حنفي ويعتبرونه في الطبقة الرابعة من طبقات الحنفية[2].

أبو منصور الماتريدي: توفي عام 333 هـ.

هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي نسبته إلى (ماترید) هي محلة بسمرقند[3]، تخرج أبو منصور في مدرسة أبو نصر العياضي، والعياضي أخذ الفقه عن أبي بكر الجرجاني تلميذ أبي عبد الله الشيباني[4] من أصحاب أبي حنيفة النعمان.

فالماتريدي يعتبر في الطبقة الرابعة من أصحاب الإمام أبي حنيفة، وقد نبغ في الفقه وأصوله وسائر علوم الدين، وكون له مدرسة تخرج فيها الكثير من العلماء، أمثال الحكيم القاضي السمرقندي[5] والإمامان الجليلان فخر الإسلام البزدوي وصدر الإسلام أبو بشر البزدوي، وبلغ من ذيوع صيته وشهرته أن الناس في بلاد ما وراء النهر كانوا يرجعون إليه في المسائل التي تشكل عليهم في الأصول والفروع، وكان يدعو إلى ما يدعو إليه أهل السنة والجماعة، وكان مذهبه وسطاً بين الأشاعرة والمعتزلة[6]، وقد نعت بأنه إمام أهل الهدى،

---

(1) هو محمد بن علي بن يحيى بن زكي الدين الدمشقي الفقيه الشافعي كان ذا فضائل عديدة في الفقه والأدب وغيرها تولى القضاء بدمشق عام 588هـ بزمن صلاح الدين، ولد بدمشق 550-589هـ رحمه الله تعالى وفيات الأعيان ج3 ص364.

(2) راجع كتاب أعلام الأخبار ص130.

(3) الأعلام للزركلي ج7 ص242.

(4) هو محمد بن الحسن الشيباني إمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر مذهب أبي حنيفة أصله من قرية حرستا في غوطة دمشق ولاه الرشيد القضاء بالرقة قال الإمام الشافعي عنه لو أشاء أن أقول: نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لقلت لفصاحته، توفي عام 189هـ الأعلام للزركلي ج6 ص309.

(5) هو إسحاق بن محمد السمرقندي.

(6) تكلمنا على رأيه في الحسن والقبح فيما مر.

قدوة أهل السنة والاهتدى، رافع أعلام السنة والجماعة، قالع أضاليل الفتنة والبدعة، إمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين[1].

بعض العلماء يرى أن الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية لفظي، وإذا ما نظرنا إلى كتب العقائد عند أهل السنة نجد أن منها ما هو على منهج الأشعري؛ كالعقائد النسفية ومتن البداية، والسنوسية، ومنها ما هو على منهج الماتريدي؛ مثل الطوالع والمواقف.

وللماتريدي كتب كثيرة: أهمها كتاب التوحيد وكتاب المقالات وغير ذلك.

وقصارى القول: فقد وصف التميمي في الطبقات السنية[2] الماتريدي بأنه فاق الأقران وتجمل به الزمان، وشاعت مؤلفاته، واتفق الموافق والمخالف على علو قدره.

موازنة بين الأشعري والماتريدي:

كانت غاية كل منهما واحدة وهي الرد على المعتزلة والقرامطة والرافضة وغيرهم من الفرق المختلفة، وألف كل منهما كتباً لمذهبه، وصار له مذهب يعتنقه أصحابه، وكان مذهب الماتريدي يقارب مذهب الأشعري، وكما كان الأشعري وسطاً بين المعتزلة والفقهاء وبين المعتزلة والمشبهة، كان الماتريدي وسطاً بين الأشاعرة والمعتزلة، إلا أن الأشعري لم يلتزم خطة واحدة في بحثه فتارة يميل إلى النقل وتارة يميل إلى العقل، لكن الماتريدي في جميع أحواله على نهج واحد يعتمد على العقل والنقل لا يغلب أحدهما على الآخر أبداً.

لذلك يميل بعض الباحثين إلى منهج الماتريدي ويراه أعدل والله أعلم[3].

من هم أهل السنة:

نجد أن لقب (أهل السنة) أطلق في أول ما أطلق على جماعة الأشاعرة والماتريدية،

---

(1) راجع سلسلة التاريخ الإسلامي للدكتور محمود محمد زيادة ص87 عن الطبقات السنية في تراجم الحنفية ص491 ومخطوط رقم 55.

(2) الطبقات ص491.

(3) المصدر السابق.

ثم اتسعت هذه الدائرة فشملت أصحاب المذاهب والفقهاء كالشافعي ومالك وأبي حنيفة وابن حنبل والثوري والأوزاعي، وأهل الرأي والقياس والإجماع، وابتعدوا عن المعتزلة، ولم يؤمنوا بالإمامة إلا على الأسلوب الذي جرى بانتخاب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وإنه ليس هناك إمامة في أسرة بعينها ولا وصاية، بل الإمامة تصح من أي مسلم صالح لها مهما كان جنسه ولونه، ولا فضل لعربي على عجمي إلاَّ بالتقوى[1].

وقد شرح البغدادي عقيدة أهل السنة وعدد أصنافهم فيما يلي:

أولاً: من أحاطوا العلم بأبواب التوحيد والنبوة وأحكام الوعد والوعيد والثواب والعقاب وشروط الاجتهاد والإمامة والزعامة، وسلكوا في هذا النوع من العلم طرق المتكلمين الذين تبرؤوا من التشبيه والتعطيل ومن بدع الرافضة والخوارج وسائر أهل الأهواء الضالة.

ثانياً: أئمة الفقه من أهل الرأي والحديث الذي اعتقدوا في أصول الدين مذاهب الصفاتية في الله وفي صفاته الأزلية، وتبرأوا من القدر[2] والاعتزال.

وأثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل[3] وأثبتوا الحشر من القبور، مع إثبات السؤال في القبر، وإثبات الحوض والصراط، والشفاعة وغفران الذنوب التي دون الشرك، وقالوا بدوام نعيم أهل الجنة، ودوام عذاب أهل النار من الكفرة وقالوا بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وأحسنوا الثناء على السلف الصالح

---

(1) راجع كتاب إسلام بلا مذاهب، الشكعة ص464 وما بعدها.

(2) يقصد بالقدر النفي أي لا قدر، كما مر كثيراً.

(3) احتجت المعتزلة لعدم الرؤيا بقوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ ولا حجة لهم في ذلك لأن الرؤية غير الإدراك، فالإدراك الإحاطة والشمول، قال تعالى ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ففرق عز وجل بين الإدراك والرؤيا، نفى الإدراك على لسان موسى وأثبت الرؤية وحجة أهل السنة في ثبوت الرؤيا قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ راجع الفصل لابن حزم ج3 ص2.

من الأمة، ورأوا وجوب الجمعة خلف الأئمة الذين تبرأوا من أهل الأهواء الضالة، ورأوا وجوب استنباط الشريعة من الكتاب والسنة ومن إجماع الصحابة، ورأوا جواز المسح على الخفين، ووقوع الطلاق الثلاث وتحريم المتعة، ووجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية، ويدخل في هذه الجماعة أصحاب مالك والشافعي والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة وأصحاب أحمد بن حنبل وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا في الأبواب العقلية أصول الصفاتية، ولم يخلطوا الفقه بشيء من أهواء أهل البدع الضالة.

ثالثاً: الذين أحاطوا علماً بطرق الأخبار والسنن المأثورة عن النبي ﷺ وعرفوا أسباب الجرح والتعديل، ولم يخلطوا علمهم بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة.

رابعاً: الذين أحاطوا علماً بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف وجروا على طريقة أئمة اللغة كالخليل وأبي عمرو بن العلاء وسيبويه والفراء والأخفش والأصمعي والمازني وسائر أئمة النحو البصريين والكوفيين الذين لم يخلطوا علمهم بشيء من بدع القدرية أو الرافضة أو الخوارج.

خامساً: الذين أحاطوا علماً بوجوه قراءات القرآن، ووجوب تفسير آياته وتأويلها وفق مذاهب أهل السنة دون تأويل أهل الأهواء الضالة.

سادساً: الزهاد والصوفية الذين أبصروا فأقصروا[1] واختبروا فاعتبروا، ورضوا بالمقدور، وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسؤول عن الخير والشر.

دينهم التوحيد ونفي التشبيه، ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه والتسليم لأمره، والقناعة بما رزقهم من فضله والإعراض عن الإعتراض عليه.

سابعاً: المرابطون في ثغور المسلمين يحمون حمى الوطن الإسلامي ويذبون عنه ويظهرون في ثغورهم مذاهب أهل السنة[2].

---

(1) الاقتصار على الشيء الاكتفاء به، وأقصر عنه كف ونزع مع القدرة عليه.

(2) إسلام بلا مذاهب نقلاً عن الفرق بين الفرق ص300-303.

من هنا نرى أن أهل السنة هم الذين ساروا على سبيل الرسول الأعظم ﷺ وطريق الصحابة والسلف الصالح، ولم يلتزموا الاتجاهات التي يغلب عليها الافتعال والتعسف، بل كانوا واضحين فيما ارتضوه لأنفسهم من عقائد مرجعها جميعاً الكتاب والسنة والرأي الحكيم والإجماع والقياس والاجتهاد والبعد عن التطرف في العقيدة أو التعسف في إصدار الأحكام.

أهم مبادئ أهل السنة والجماعة

1 - إنكار الحسن والقبح العقليين، فيقولون: الحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع، وقد مر الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية.

2 - الإيمان هو تصديق القلب، والعمل كمال له، وبعض أهل السنة يقولون: (الإيمان قول وعمل واعتقاد).

3 - مرتكب الكبيرة أمره مفوض إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه.

وهذا فيما عدا الإشراك بالله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: 48].

4 - يثبتون لله سبحانه صفات المعاني، وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.

5 - لا يجب على الله شيء، فيجوز له إرسال الرسل، والثواب والعقاب، فهو الفاعل المختار لا يسأل عما يفعل.

6 - جواز رؤية الله تعالى في الآخرة رؤية تليق بجلاله.

7 - الشفاعة لرسول الله ﷺ في الآخرة بإذن ربه.

8 - وجود الجنة والنار، وخلود المؤمنين في الجنة والكافرين في النار.

9 - يؤمنون بكل ما ورد في القرآن الكريم وصحيح السنة من العقائد، كالبعث والصراط والميزان، والجنة والنار، وأما المتشابه من الآيات يقولون آمنا به من غير

تشبيه ولا تعطيل، وغير ذلك من المبادئ تكفلت بتفصيلها كتب الكلام، ويأتي بعضها عند ذكر الأئمة الأربع.

الإمامة عند أهل السنة :

يختلف مفهوم الإمامة عند أهل السنة عنه عند الشيعة اختلافاً ظاهراً.

بينما نرى أن الإمام عند الشيعة منصوص عليه من أسرة معينة مقدساً معصوماً.

إذ بنا نرى الإمامة السنية ليست وظيفة أو وراثة، كما أنها ليست حقاً دينياً، أو شرفاً موقوفاً على أحد بعينه، أو وصاية ملقاةً، كما أنه ليس للإمام أي حصانة أو عصمة أو انتماء لأسرة معينة، وإنما الإمام عند أهل السنة مجرد مسلم عرف بالاستقامة والعلم، والعدل، واتساع الأفق وامتداد الثقافة والتفقه في الدين من كتاب وسنة وهو قادر على حسن الاستنباط واستخراج روح المعاني وإصدار الأحكام، ولا يشترط فيه بعد ذلك لون أو جنس أو نسب، وتفرض شخصيته على الناس إجلالاً واحتراماً وتجب طاعته في غير معصية الله.

وأئمة أهل السنة كثيرون، وأوسع الأئمة انتشاراً في الآفاق جماعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، وغير هؤلاء، وقد يكون من الخير أن نتكلم على الأئمة الأربعة المشهورين، فإن مذاهبهم مسلمة عند جميع أهل السنة.